البحث فى الكون واجب دينى

obeikandl.com

obeikandl.com

البحث فى الكون واجب دينى

يختلف الإسلام عن الأديان الأخرى فى مناحٍ كثيرة ، بعضها يرجع إلى العقائد والعبادات ، والبعض الآخر يتعلق بأسلوب حياة المؤمنين به ، ومدى تعاملهم مع ما حولهم من مظاهر الطبيعة ، بما فيها من صور شتى ، وأشكال متعددة ، وهيئات تجمع بين التنافر والانسجام ، وبين التباين والاندماج . ولا شك أن كل دين تناول موضوع الكون بصورة أو بأخرى ، واشتملت تعاليمه على ذكر بعض جوانبه وما فيها من إعجاز أو تسلط على الإنسان يحمله على الخضوع للقوة التى يدعو إليها هذا الدين ، ولكننا لا نجد ديناً عنى بما فى السماوات والأرض ، ودفع أتباعه إلى النظر فيما حولهم من مظاهر كونية ، مثل الإسلام ؛ إذ نقرأ فى القرآن الكريم آيات كثيرة تحث المسلمين على النظر والتأمل فيما يحيط بهم ، من سماء ، وأرض ، وكواكب سيارة ، ونجوم لا حصر لها ، مثل قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴿١٨٥﴾ ﴾
[الأعراف : ١٨٥]

وقوله :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق : ٦- ٨]

وقوله :

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾
[لقمان : ١٠]

إلى غير ذلك من الآيات التى يضيق المقام عن ذكرها ، وكلها تحث بطريق مباشر أو غير مباشر على التفكير والتأمل فى ملكوت الله الذى يحيط بالإنسان ، ولا يقف النظر والتأمل عند حد " البحلقة " ، فى مظاهر الكون ، بل هو محاولة الوصول إلى معرفة أسبابها وإدراك معالمها بالقدر المتاح للإنسان . ولم يقتصر أمر الإسلام المسلمين بالنظر فيما حولهم على الناحية النظرية ، بل ربطها بالجانب العملى ؛ ذلك أن الله فرض الصلاة والصيام فى أوقات محددة ، تتغير بمطالع الشمس والقمر . ومعرفة هذه المطالع لا تكون سهلة ميسرة فى بعض مناطق الكرة الأرضية ، بمعنى أنها لا تعرف بمجرد النظر بالعين المجردة ، بل لا بد من استعمال قواعد أخرى لتحديد بدء الصيام ونهايته ، وبدء وقت الصلاة ونهايته . وهذا يدفع المسلمين إلى الاشتغال بعلم الحساب والفلك ، ونلمس ذلك أيضاً من قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإسراء : ١٢]

وقوله :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس : ٥]

كذلك يتعذر فى بعض مناطق الكرة الأرضية تطبيق التحديد المشروع للصوم والصلاة لو أخذ بظاهره ، إذ كيف يصوم المؤمن من الفجر إلى الليل فى بلد لا تغيب عنها الشمس شهراً أو شهرين ، وكيف يؤدى الصلاة فى يوم طوله ستة أشهر ، كما فى بعض المناطق القطبية ، إلا إذا أدركنا أن تحديد وقت الصلاة بطلوع الشمس وغروبها ووقت الصوم بظهور الهلال ، مبنى على معظم مناطق الكرة الأرضية . والمطلوب منا تقدير الزمن فى تلك المناطق التى تغيب فيها الشمس

أو تشرق شهوراً وأياماً بحسب أقرب المناطق التى يتعاقب عليها اليل والنهار بصورة عادية . كما أشار إلى ذلك حديث الدجال ، حيث جاء فيه على لسان الصحابة رضى الله عنهم : "....**قلنا يا رسول الله .. فذلك اليوم الذى كسنة ، أوَ تكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا.. أقدروا له** " ففيه إشارة إلى أنه لو حدث أن طال اليوم بصورة غير مألوفة ، فيجب علينا أن نقدر منه مقدار اليوم ، ونحدد على أساسه مواقيت الصوم والصلاة ، ولا يتأتى ذلك إلا طبقاً للقواعد الفلكية ، ولا يمكننا القيام بهذا العمل إلا إذا تقدم علماؤنا فى مجال الفلك ، وأصبحوا قادرين على حساب الزمن الذى تستغرقه الأرض فى دورانها حول نفسها وحول الشمس ، ومقدار قربها وبعدها من القمر .

إذاً ، فربط العبادتين بالظواهر الفلكية ، كان دافعاً للعلماء إلى البحث والتنقيب فى هذا العلم ، ووضع نظرياته على أسس علمية ، وهذا ما حدث فى الدولة الإسلامية ؛ إذ بعدما كان الفلك قبل الإسلام قائماً على التنجيم بأسلوب غير علمى ، اتجه فى العصر العباسى وما تلاه من العصور التى ظهرت فيها الاكتشافات العلمية الحديثة ، إلى وضع النظريات العلمية فى هذا المجال ، فأنشئت المراصد المجهزة بأحدث الأجهزة للكشف فى العواصم الإسلامية وغيرها ، وتقدم علم الفلك تقدماً ملحوظاً ، فوضع العلماء قوانين هندسية مبرهنة للكشف عن مقادير الحركات الظاهرة للشمس والقمر وسائر الكواكب بالتحديد ، فكان هذا إنجازاً حضارياً على هذا الطريق ، وخطوة أولى شجعت الباحثين من مختلف الجنسيات على السير فى هذا الطريق ، حتى وصل اليوم إلى درجة لم يكن من الممكن أن يتصورها الإنسان فى الماضى . فإنجاز علماء الإسلام فى عالم الفلك يعتبر خطوة رائدة ، كانت العبادات الإسلامية من أهم الأسباب فى اتخاذها .